سلسلة من صفات عباد الشيطان

١٥

عقوق الوالدين

تأليف

مجدي فتحي السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر. والتحقيق. والتوزيع

كِتابٌ قَدحَوى دُرَرًا بِعَينِ الحُسنِ مَلحوظَة
لِهذا قلت تنبيهًا
حقوق الطبع محفوظة

لدار الصحابة للتراث بطنطا
للنَّشرِ والتَّحقِيقِ ـ والتَّوزيع

المُرَاسَلات:
طنطا ش المديرية ـ أمَام محطة بَنزين التَّعاونِ
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعَة الأولى
١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م

أخى المسلم ...

أختى المسلمة ...

اقرأ فى الصفحات التالية:

١ – تقديم

٢ – بين يدى الكتاب

٣ – عقوق الوالدين فى لغتنا الجميلة

٤ – عقوق الوالدين فى الشرع الحنيف

٥ – ذم عقوق الوالدين فى القرآن الكريم

٦ – ذم عقوق الوالدين فى السنة النبوية

٧ – وصية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أبى الدرداء بعدم عقوق الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله ...

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾(١)

(يا أيها الناسُ اتقُوا ربكمُ الذى خلقكم منْ نفس واحدة وخلقَ منهَا زوجهَا وبثَّ منهمَا رجالاً كثيراً ونساءً واتقُو اللهَ الذِى تساءلونَ بِهِ والأرحام إنَّ اللهَ كانَ عليكم رقيباً﴾(٢)

﴿يا أيُّهَا الذين آمنُوا اتقُوا الله وقُولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكُم ويغفر لكمْ ذنوبكم ومنْ يطعِ اللهَ ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيماً﴾(٣)

أما بعد ....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٠٢

(٢)سورة النساء: الآية : ١.

(٣) سورة الأحزاب : الآية : ٧٠ – ٧١.

بين يدى الكتاب

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى .

وبعد...

فهذا كتاب جديد فى سلسلة « صفات عباد الشيطان » التى أسأل الله تعالى أن ينفع بها سائر المسلمين والمسلمات.

أخى المسلم ... أختى المسلمة ...

ليس حديثنا فى هذا الكتاب عن « بر الوالدين » وما يجب لهما من المكانة والفضل ، فإن ذلك فى السلسلة الأخرى «صفات عباد الرحمن »

إنما حديثنا فى هذا الكتاب عن «عقوق الوالدين » ، وما أدراك ما عقوق الوالدين ؟!

عقوق الوالدين كبيرة من الكبائر ، ورذيلة من الرذائل ، بها يخسر العبد خير الدنيا ، وخير الآخرة .

ففى هذا الكتاب نتعرف على ذم العقوق فى القرآن والسنة ، وعلى ألسنة السلف الصالحين .

وفى هذا الكتاب نتعلم كيف أن شؤم العقوق يصل إلى قصر الأعمار، وحرمان رحمة الغفار ، وغضب الجبار ، ودخول النار.

وفى هذا الكتاب نرى جزاء أهل العقوق فى الدنيا والآخرة.

أخى المسلم ... أختى المسلمة ...

ماذا نقول عن تعب الآباء ، وعناء الأمهات ؟!

أما الأب فطالما دأب من أجلنا ، فواصل النهار بالليل فى سبيلنا ، وطالما تحمل التعب الثقيل لكى نكون من السعداء الآمنين.

وكم قد أكل الرخيص ،ولبس الخشن ، من أجل أن يوفر لنا العيشة الرغدة،

وكم قد سمع الكلمة الثقيلة الآمرة له بفعل كذا أو كذا ، وتلقى المرارة والحرمان والمحن من أجل أولاده.

وهم فى أثناء ذلك كله إما نيام ، أو لاهون لاعبون ، لا يشعرون بمعاناته .

أما الأم ، وما أدراك ما الأم ؟!

لقد كان نصيبها فى التربية أوفى قسطًا ، فلقد تحملت ثقل الحمل وتعبه ، وألم المخاض ، وألم وعناء الرضاعة ، كل ذلك دون أن تفكر لحظة فى ألم الجوع ، أو المرض الذى ألم بها ، ودون أن تنتظر من وراء ذلك جزاء أو شكوراً.

لقد عاشت طوال عمرها خادمة لأولادها ، ممرضة لهم ، فلقد كانت هى الأم الحنون لأولادها ، لا تتقزز من قذر تغسله ، أو من منظر تبصره ، أو حادث تشاهده ، وكان أهنأ أيامها يوم أن رأت ولدها رجلاً شاباً ، وابنتها امرأة فتية.

أبعد ذلك يستحقان العقوق والنكران ؟!!

وما أحسن قول العلامة الذهبى رحمه الله واعظاً ، ومذكراً بخطورة العقوق :

أيها المضيع لأوكد الحقوق ، المعتاض عن البر بالعقوق ، الناسى لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين ، تطلب الجنة بزعمك وهى تحت أقدام أمك ، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج ، وكابدت عند وضعك ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبنًا ، وأطارت لأجلك وسنًا ، وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذا ، وصيرت حجرها لك مهداً ، وأنالتك إحسانًا ورفداً ، فإن أصابك مرض أو شكاية أظهرت من الأسف فوق النهاية ، وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت ما لها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها لآثرت حياتك بأعلى صوتها .

هذا وكم عاملتـها بسوء الخلق مـرارًا ، فدعت لك بالتوفـيق سرًا وجهـارًا فلما احتاجت عند الكبر إليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك !!

فشبعت وهى جائعة ، ورويت وهى ضائعة ، وقدمت عليها أهلك وأولادك فى الإحسان ، وقابلت أياديها بالنسيان !!

وصعب لديك أمرها وهو يسير ، وطال عليك عمرها وهو قصير ، وهجرتها ومالها سواك نصير !!

هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف ، وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف !!

ستعاقب بعقوق البنين فى دنياك ، وبالبعد من رب العالمين فى أخراك، ويناديك بلسان التوبيخ والتهديد :

﴿ذلكَ بمآ قدمتْ يداكَ وأنَّ اللهَ ليس بظلامٍ للعبيد﴾

أخى المسلم ... أختى المسلمة ...

فى هذه الصفحات عظة لمن أراد العظة .

وفى هذه الصفحات تذكرة لمن أراد التذكرة .

فأسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن يجعل تلك الصفحات فى ميزان حسناتى ، وينفعنى بها بعد مماتى ، ويغفر لى بها بعض سيئاتى ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أبو مريم / مجدى فتحى السيد إبراهيم

طنطا – مصر

عقوق الوالدين
في
لغتنا الجميلة

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

تقول لنا لغتنا الجميلة :

عَقَّهُ يعقُه عَقًا ، فهو معقوق ، وعَقيق : شَقَّه

وعقَّ والده يعقه عقاً وعُقوقاً ومعَقَّة: شق عصا طاعته .

وعق والديه : قطعهما ولم يصل رحمه منهما .

والجمع عقَقَةَ مثل كفرة.

وأعق فلان إذا جاء بالعقوق.

وفى المثل العربى : أعق من ضبٍ .

ويراد بهذا المثل أنثى الضب التى تأكل أولادها

والعُقُق: قاطعو الأرحام ، وعُقَق: معدول عن عاق للمبالغة كغُدر من غادر ، وفسُق من فاسق ، والعُقُق : البعداء من الأعداء .

ونواصل المسير مع لغتنا الجميلة التى توضح لنا معنى عقوق الوالدين ، فتقول لغتنا الجميلة بلسانها الفصيح:

نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن عقوق الأمهات ، وهو ضد البر .

وأصله من العق : الشق والقطع ، وإنما خص الأمهات ، وإن كان عقوق الآباء وغيرهم من ذوى الحقوق عظيماً ، لأن لعقوق الأمهات مزية فى القبح .

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

وبعد تلك الرحلة القصيرة السريعة مع لغتنا الجميلة ، آن لنا أن نستمع إلى الشرع الحنيف ، وهو يعرف لنا المراد بالعقوق فى الشرع ، والضابط لحدود العقوق.

ونكمل المسير مع كتاب «عقوق الوالدين»

أخي المسلم ... أختي المسلمة ..

« عقوق الوالدين »

بضم العين المهملة مشتق كما سبق بيانه من العق ، وهو القطع .

هذا من الناحية اللغوية.

أما من ناحية الشرع الحنيف فقد عرف العقوق ، بأنه :

صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل إلا فى شرك أو معصية مالم يتعنت الوالد.

وضبطه أهل الشرع الحنيف بوجوب طاعتهما فى المباحات فعلاً وتركًا، واستحبابها فى المندوبات ، وفروض الكفاية كذلك .

قال الحسن البصرى رحمه الله :

« إن منعته أمه عن العشاء فى جماعة شفقة لم يطعها »

وقال الأوزاعى رحمه الله :

« لا طاعة للوالد فى ترك الجمعة والجماعات »[1]

ولكن ما هو الضابط للعقوق ؟

بالنظر إلى عقوق الوالدين نجد أنه كبيرة من الكبائر ، وضابطه هو أن يحصل منه لهما أولأحدهما إيذاء ليس بالهين أى : عرفاً.

ولكن لو كان فى غاية الحمق ، أو سفاهة العقل ، فأمر أو نهى ولده بما لا يعد مخالفته فيه فى العرف عقوقاً لا يفسق ولده بمخالفته حينئذ لعذره.

وهذا الإيذاء الموجه من الولد لوالده ، وإن لم يكن محرمًا لو فعل مع الغير كأن يلقاه فيقطب فى وجهه ، أو يقدم عليه فى ملأ ، فلا يقوم له ، ولا يعبأ به ، ونحو ذلك مما يقضى أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذ تأذياً عظيمًا [2].

هذا هو الضابط لعقوق الوالدين .

(١) شرح السنة (٣/ ٣٥٠) للبغوى. (٢)الزواجر(٢/ ١١٦) لابن حجر الهيتمى.

ذم عقوق الوالدين

في

القرآن الكريم

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

القرآن الكريم هو دستور المسلمين ، ما ترك خيراً إلا وقد أرشدهم إلى القيام به وما ترك شراً إلا وقد نهاهم عن الوقوع فيه .

ومن الأمور التى نهى القرآن الكريم عن الوقوع فيها : عقوق الوالدين .

ولعل من أوضح الآيات القرآنية التى توضح ذلك الأمر قول الله تعالى :

﴿ وقضَى ربُّكَ ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياهُ وبالوالدين إحساناً إمَّا يبلغنَّ عندكَ الكبرَ أحدهماَ أوْ كلاهماَ فلاَ تقلْ لهماَ أف ولَا تنهرهَما وقل لهماَ قولاً كريماً واخفض لهماَ جناحَ الذلِّ منَ الرحمة وقل رب ارحمهماَ كماَ ربياني صغيراً ﴾(١)

يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له ، فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر.

فـ (قضى) فى هذه الآية هى بمعنى أمر ، وألزم ، وأوجب عليكم .

أما (تعبدوا) للمؤمنين من الناس إلى يوم القيامة.

قال زكريا بن سلام : جاء رجل إلى الحسن البصرى – رحمه الله – فقال : إنه طلق امرأته ثلاثاً . فقال : إنك قد عصيت ربك ، وبانت منك .

---

(١) سورة الإسراء : الآية : ٢٣ /٢٤.

فقال الرجل : قضى الله ذلك على ؟!

فقال الحسن وكان فصيحًا : ما قضى الله ذلك !! أى ما أمر الله به ، وقرأ هذه الآية الكريمة.

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ بعد أن أمر الله سبحانه بعبادته ، وتوحيده ، جعل بر الوالدين مقروناً بذلك ، كما قرن شكرهما بشكره ، فقال :

﴿ أن اشكر لى ولوالديك إلىَّ المصير﴾[1].

فمعنى قوله تعالى ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ أى : وأمر ربك بالوالدين إحسانا، براً بهما ، وعطفاً ولطفاً عليهما .

﴿إمَّا يبلغن َّعندكَ الكبرَ أحدهمَا أو كلاهمَا فلا تقل لهمَا أفٍّ ولا تنهرهما﴾

أى: لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا ، وينبغى أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم .

وكيف يقع التساوى وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك ، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما !!

فمعنى لفظة « أف» أنها اسم فعل كأن الذى يريد أن يقول أضجر ، أو أتقذر ، أو أكره ، أو نحو هذا يعبر إيجازًا بهذه اللفظة ، فتعطى معنى الفعل المذكور ، وجعل الله تعالى هذه اللفظة مثالاً لجميع ما يمكن أن يقابل به الآباء مما يكرهون فلم ترد هذه

---

(١) سورة لقمان : الآية :١٤.

فى نفسها ، وإنما هى مثال الأعظم منها ، والأقل فهذا هو مفهوم الخطاب الذى المسكوت عنه حكمه حكم المذكور.

﴿ولا تنهرهما﴾ ولا تزجرهما ، فالنهر : الزجر والغلظة ، والانتهار إظهار الغضب فى الصوت واللفظ.

﴿وقلْ لهمَا قولاً كريماً﴾ أى : لينًا لطيفًا ، مثل : يا أبتاه ، ويا أماه ، من غير أن يسميهما ويكنيهما .

قال ابن البداح التجيبى : قلت لسعيد بن المسيب : كل ما فى القرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا قوله ﴿وقل لهما قولا كريماً﴾ ما هذا القول الكريم ؟

قال ابن المسيب : قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ.

فالقول الكريم الجامع للمحاسن من اللين وجودة المعنى ، وتضمن البر ، وهذا كما تقول : ثوب كريم تريد أنه جم المحاسن .

﴿وقلْ لهما قولا كريماً﴾ أى طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم.

﴿فلا تقلْ لهمَا أفٍّ﴾ أى : لا تسمعهما قولاً سيئًا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ.

قال مجاهد رحمه الله : إما يبلغان عندك الكبر فلا تقل لهما أف حين ترى الأذى ، وتميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيراً ، ولا تؤذهما.

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى أف.

فقال بعضهم : معناه كل ما غلظ من الكلام وقبح.

وقال آخرون : الأف وسخ الأظفار ، والتف كل ما رفعت بيدك من الأرض من شيء حقير.

وقال بعضهم : معنى أف الاحتقار والاستقلال .

قال أهل العلم : وإنما صارت قولة (أف) للأبوين أردأ شيء لأنه رفضهما رفض كفر النعمة ، وجحد التربية ، ورد الوصية التى أوصاه الله تعالى بها فى التنزيل، وأف كلمة مقولة لكل شيء مرفوض ، ولذلك قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه:

﴿ أفٍّ لكم وما تعبدون مَن دون الله ﴾[1].

أى : رفض لك ولهذه الأصنام معكم.

﴿ واخفضْ لهما جناح الذلِّ من الرحمة ﴾

يقول تعالى ذكره وكن لهما ذليلاً رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية ، ولا تخالفهما فيما أحبا .

قال عروة بن الزبير رحمه الله :

«لا تمتنع من شيء يحبانه ، وهو أن تلين لهما فلا تمتنع من شيء يريدانه ».

وقال سعيد بن جبير رحمه الله :

«لا ترفع يديك عليهما إذا كلمتهما »

(١) سورة الأنبياء : الآية : ٦٧.

وقال عروة رحمه الله أيضًا :

«إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزرًا فإنه أول ما يعرف غضب المرء بشدة نظره إلى من غضب عليه »

وقال زهير بن محمد رحمه الله :

« إن سباك أو لعناك فقل رحمكما الله ، غفر الله لكما »

وفى قوله ﴿ واخفضْ لهمَا جناحَ الذلِّ من الرحمةِ﴾ استعارة ، أى : أقطعهما جانب الذل منك ، ودمث لهما نفسك وخلقك.

فهذه استعارة فى الشفقة ، والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير ، والعبيد للسادة ، كما أشار إليه سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى .

وضرب خفض الجناح ونصبه مثلاً لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده.

وينبغى بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه فى خير ذلة فى أقواله ، وسكناته ، ونظره ، ولا يحد إليهما بصره ، فإن تلك هى نظرة الغاضب .

وخلاصة قوله تعالى ﴿ واخفضْ لهما جناحَ الذلِّ من الرحمة ﴾ أى : ألن جانبك لهما واخضع لهما من الشفقة عليهما .

﴿ وقلْ ربِّ ارحمهماَ كماَ ربياني صغيراً ﴾

بعد أن أمر تبارك وتعالى بخفض الجناح لهما ، أمر عباده بالترحم على آبائهم ، وذكر منّتهماَ عليه فى التربية ليكون تذكرتلك الحالة مما يزيد الإنسان إشفاقًا وحنانًا

عليها ، وهذا كله فى الأبوين المؤمنين ، وقد نهى القرآن عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربى .

وقوله ﴿ وقلْ رب ارحمهما كمَا ربيانى صغيراً﴾ يقول : ادع الله تعالى لوالديك بالرحمة ، وقل رب ارحمهما وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك كما تعطفا على فى صغرى ، فرحمانى وربيانى صغيراً حتى استقللت بنفسى واستغنيت عنهما .

روى أبو مرة مولى عقيل أن أبا هريرة –رضى الله عنه – كانت أمه فى بيت ، وهو فى آخره ، فكان يقف على بابها ويقول : السلام عليك يا أمتاه ، ورحمة الله وبركاته .

فتقول : وعليك يا بنى ، فيقول : رحمك الله كما ربيتنى صغيراً .

فتقول : رحمك الله كما بررتنى كبيرة.

﴿ ربُّكم أعلمُ بما فى نفوسِكم إنْ تكونُوا صالحينَ﴾ أى : من اعتقاد الرحمة بهما ، والحنو عليهما ، أو من غير ذلك من العقوق ، أو من جعل ظاهر برهما رياء .

ففى تلك الآية يخبر تعالى ذكره مخاطبًا عباده : أيها الناس ربكم أعلم منكم بما فى نفوسكم من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم ، وتكرمتهم والبر بهم ، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم ، والعقوق لهم ، وغير ذلك من ضمائر صدوركم لا يخفى عليه شىء من ذلك ، وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه ، فاحذروا أن

تضمرو ا لهم سوءاً ، وتعقدوا لهم عقوقاً .

﴿ إنْ تكونُوا صالحين﴾ أبراراً مطيعين بعد تقصير كان منكم فى القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك .

﴿إن تكونوا صالحين ﴾ أى صادقين فى نية البر بالوالدين ، فإن الله يغفر البادرة.

﴿إن تكونوا صالحين﴾ يقول تعالى إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم ،وأطعتم الله فيما أمركم به من البر بهم، والقيام بحقوقهم عليكم بعد هفوة كانت منكم أو زلة.

﴿فإنهَّ كان للأوابين غفوراً﴾ أى التائبين بعد الهفوة غفوراً لهم .

فوعد بالغفران مع شرط الصلاح ، والأوبة بعد الأوبة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى .

قال سعيد بن جبير رحمه الله :

﴿ربُّكمْ أعلَم بما فى نفوسكُمْ﴾ البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير.

وقال حبيب بن أبى ثابت فى قوله ﴿ إنَّه كان للأوابين غفوراً ﴾ هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفى نيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به .

وقال الضحاك رحمه الله فى قوله ﴿ إنَّه كان للأوابين غفوراً ﴾ الرجاعين من

الذنب إلى التوبة ، ومن السيئات إلى الحسنات [1]

ونكمل المسير مع آيات قرآنية تذم عقوق الوالدين ، ولكن لنا وقفة إجمالية.

يجمل لنا المراد من الآيات الكريمة ابن حجر الهيتمى فيقول :

أمر الله تعالى بالإحسان إليهما ، وهو البر والشفقة ، والعطف والتودد، وإيثار رضاهما ، ونهى عن أن يقال لهما : أف

والأف : كناية عن الإيذاء بأى نوع كان حتى بأقل أنواعه ، فلو علم الله تعالى شيئاً أدنى من الأف لنهى عنه.

ثم أمر تعالى بأن يقال لهما القول الكريم : أى اللين اللطيف ، المشتمل على العطف ، والاستمالة ، وموافقة مرادهما ، وميلهما ، ومطلوبهما ما أمكن ، سيما عند الكبر ، فإن الكبير يصير كحال الطفل وأرذل لما يغلب عليه من الخرف ، وفساد التصور ، فيرى القبيح حسناً ، والحسن قبيحاً ، فإذا طلبت رعايته ، وغاية التلطف به فى هذه الحالة ، وأن يتقرب إليه بما يناسب عقله إلى أن يرضى .

ففى غير هذه الحالة أولى .

ثم أمر الله تعالى بعد القول الكريم بأن يخفض لهما جناح الذل من القول بأن لا يكلمهما إلا مع الاستكانة ، والذل ، والخضوع ، وإظهار ذلك لهما ، واحتمال ما يصدر منهما ، ويريهما أنه فى غاية التقصير فى حقهما ، وبرهما ، وأنه من أجل ذلك ذليل حقير ، ولا يزال على نحو ذلك إلى أن يثلج خاطرهما ، ويبرد قلبهما عليه

---

(١) انظر : تفسير الطبرى (١٥/٤٨-٥١) ، تفسير البغوى (٣/١١٠-١١١) ، تفسير ابن عطية (٣/٤٤٨-٤٤٩)، تفسير ابن كثير (٣/٣٤)، تفسير القرطبى (١٠/١٥٥- ١٦٠)، تفسير الدرالمنثور (٤/١٧٠-١٧٥)

فينعطفا عليه بالرضا والدعاء ، ومن ثم طلب منه بعد ذلك أن يدعو لهما ، لأن ما سبق يقتضى دعاءهما له كما تقرر فليكافئهما إن فرضت مساواة.

وإلا فشتان ما بين المرتبتين ، وكيف تتوهم المساواة ، وقد كانا يحملان أذاك ، وعظيم المشقة فى تربيتك ، وغاية الإحسان إليك ، راجين حياتك ، مؤملين سعادتك وأنت إن حملت شيئًا من أذاهما رجوت موتهما ، وسئمت من مصاحبتهما ، ولكون الأم أحمل لذلك وأصبر عليه مع أن عناءها أكثر ، وشفقتها أعظم بما قاسته من حمل ، وطلق ، وولادة ، ورضاع ، وسهر ليل ، وتلطخ بالقذر والنجس ، فحض النبى صلى الله عليه وسلم على برها ثلاث مرات ، وعلى بر الأب مرة واحدة (١) .

ومن الآيات القرآنية التى حثنا ربنا تبارك وتعالى فيها على ترك العقوق ، وذمه قوله سبحانه وتعالى :

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (٢)

قيل : هاتان الآيتان اعتراض بين أثناء وصية لقمان ، ووجه الطبرى ذلك بأنهم من معنى كلام لقمان ، ومما قصده ، وذلك غير متوجه لأن كون الآيتين فى شأن سعد بن أبى وقاص حسب ما أذكره بعدُ يضعِّف أن تكون مما قالها لقمان ، وإنما الذى يشبه أنه اعتراض أثناء الموعظة ، وليس ذلك بمفسد للأول منها ، ولا للآخر ، بل لما فرغ من هاتين الآيتين عاد إلى الموعظة على تقدير إضمار ، وقال أيضًا لقمان ، ثم اختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه (٣).

---

(١) الزواجر (٢/١٠٦) لابن حجر الهيتمى.

(٢) سورة لقمان : ١٤–١٥

(٣) تفسير ابن عطية (٤/٣٤٨)

وقيل : إن هذا مما أوصى به لقمان ابنه ، أخبر الله به عنه ، أى : قال لقمان لابنه : لا تشرك بالله ، ولا تطع فى الشرك والديك ، فإن الله وصى بهما فى طاعتهما مما لا يكون شركاً ومعصية لله تعالى .

وقيل : أى وإذ قال لقمان لابنه ، فقلنا للقمان فيما آتيناه من الحكمة، ووصينا الإنسان بوالديه ، أى قلنا له : اشكر لله ، وقلنا له : ووصينا الإنسان .

وقيل : وإذ قال لقمان لابنه : لا تشرك ، ونحن وصينا الإنسان بوالديه حسنًا، وأمرنا الناس بهذا ، وأمر لقمان به ابنه .

والصحيح أن هاتين الآيتين نزلتا فى شأن سعد بن أبى وقاص (١) .

قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه :

أنزلت فى هذه الآية ، وكنت رجلاً برًا بأمى ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ، ما هذا الذى أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أولا آكل ، ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بى ، فيقال يا قاتل أمه ، فقلت : لا تفعلى يا أمه ، فإنى لا أدع دينى هذا لشىء ، فمكثت يومًا وليلة ، ولم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يومًا آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه ، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت دينى هذا لشىء ، فإن شئت فكلى ، وإن شئت لا تأكلى ، فأكلت .

وفى هذه الآية الكريمة أشرك الله تعالى الأم والوالد فى رتبة الوصية بهما ، ثم خصص الأم بدرجة ذكر الحمل ، ودرجة ذكر الرضاع فتحصل للأم ثلاث مراتب ، وللأب واحدة.

﴿وهناً على وهن﴾ معناه : ضعفاً على ضعف .

وقيل : إشارة الى مشقة الحمل ، ومشقة الولادة بعده.

---

(١) تفسير القرطبى (١٤/٤٣).